تمُّرد كائنات العالم الأسفل على الآلهة في ضوء أساطير بلاد الرافدين القديمة

أ. د سعد عبود سمار
جامعة واسط / كلية التربية

الباحث علي جبار عزيز
جامعة واسط / كلية التربية

الخلاصة

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على التمردات التي تقودها مخلوقات (من بينها الشياطين والعفاريت وغيرها) اتخذت من العالم الأسفل قاعدة لتشن حرباً على الآلهة في العالم الأعلى؛ من اجل أن تسود الفوضى والخراب فيه العالم ، بوسائل مختلفة منها: التدمير والقتل وخطف الآلهة؛ لأسباب سيتطرق إليها البحث، وتبذل الآلهة في العالم الأعلى كل جهودها أن تنهي تمُّرد تلك المخلوقات وتحافظ على النظام .

Rebellion world originated down to the gods in the light

Legends of ancient Mesopotamia

Dr. Saad AboodSammar Assistant Lechnrer Ali Jabbar Aziz

University of Waist - College of Education

Abstract

This study aims to shed light on the rebellions led by creatures (including demons and goblins, etc.) taken from the lower world a base for waging war on the gods at upper the world; so that chaos and ruin domain the world, in various ways, including: destruction, killing and the kidnapping of the gods; for reasons that the researcher will deal with the gods in the upper world will do all its efforts to end the rebellion of those creatures and maintain the system.

المُقدِمة :

عاش الإنسان في بلاد الرافدين في بيئة ذات طبيعة قاسية ، القت بظلالها على نفسيته وتفكيره، وكانت تمثل له تحديات كبيرة حفزت ذلك الإنسان على التأمل والتفكير في الموجودات، وأصبح على أثرها يعمل جاهداً لإيجاد الحلول المناسبة، والبحث عن القوة الخفية التي تُسيِّرها، ومن ثم صياغتها بأسلوب خيالي يتسَّم بالطابع الأسطوري؛ الذي يُعدُّ السمة البارزة للأدب العراقي القديم ، إذ صوَّر الآلهة وهي تتميز بصفات خارقة قامت بعملية خلق الكون وما يحويه من الأرض والإنسان والموجودات الأخرى ومن بينها الشياطين والعفاريت وغيرها(١)، من الكائنات التي كانت تتخذ من العالم الأسفل مقراً لها وقاعدة لتشن حرباً على الآلهة في العالم الأعلى، من أجل أن تسود الفوضى والخراب في العالم الذي تديره الآلهة بوسائل مختلفة ؛ منها التدمير والقتل وخطف الآلهة،لأسباب سيتطرق إليها البحث، بينما نجد أن الآلهة في العالم الأعلى تحاول وبكلّ جهدها أن تنهي تمُّرد تلك المخلوقات وتحافظ على النظام. لذا سيسلط هذا البحث الضوء على التمردات التي تقودها مخلوقات العالم الأسفل والتي اتخذت صوراً شتَّى ضد الآلهة في ضوء ما تضمنته الأساطير العراقية القديمة .

كائنات العالم الأسفل تهدد آلهة العالم الأعلى:

قسّم سكان بلاد الرافدين الكون على ثلاثة أقسام، الأول : السماء التي عدت مقراً للآلهة، والثاني : الأرض ، والثالث : هو ما بين السماء والأرض والمتمثّل بالهواء ، وقد قُمّت الأرض هي الأخرى على ثلاثة أقسام ،الأرض العليا التي يسكن عليها البشر والأرض الوسطى التي يسكن فيها الآله أنكي/ ايا؛ في الابسو، والأرض السفلى التي تُسَّمى أرض الأموات أو العالم الأسفل(٢)، وتُعدَّ مقراً لإقامة آلهة الموت والأمراض وأتباعهم من الآلهة الصغار والشياطين وغيرهم من المخلوقات المُخيفة، التي أوجدتها بعض الآلهة (٣)، والتي تشكل خطراً وتهديداً على الكون (٤)، إذ تسعى تلك المخلوقات لخلق الفوضى والخراب والسيطرة على الكون والتمرد على سلطة الآلهة كلما سنحت لها الفرصة بذلك، كما وردت في الأساطير آلاتية :

أسطورة ايرا (Erra) [٥] :

تدور أحداث هذه الأسطورة عن الإله إيرا إله الطاعون والأمراض وإله الحرب والصيد والذي اختلفت الآراء حول أصله، منهم من أشار إلى أنَّه كان أحد الآلهة الرئيسة في مجمع الآلهة في الألف الثالث ق.م، وزوج الآلهة مامي (نينتو)[٦]، بدليل أن وزيره ايشوم من أصل سومري، وهو الابن البكر للإله انليل، وورد ذكره في النصوص الكتابية منذ الألف الثالث ق.م[٧]، وكان يُسَّمى **(بطل سومر وحامي النظام)** [٨] ، بينما عبر الرأي الآخر بقوله أَن الإله إيرا هو إله أكدي، وربّما هو من أصل حثي، وأنه وصَّل إلى مجمع الآلهة البابلي بوساطة اقترانه بالآلهة مامي، التي يُعتقد أنها قرينة الإله نرجال (ماميتوم) ، وقد اختلف مع الإله نرجال فغضب علية وحوله إلى العالم الأسفل ليكون من العفاريت[٩].وقد كرم هذا الإله من قبل الإله آنو بأن وضع تحت تصرفه مجموعة من الإلهة الذين عرفوا بالآلهة السبعة بحسب النص :

"عندما أخصب الأرض ، ملك السماء آنو
أنجبت له سبعة آلهة دعاهم الآلهة – السبعة" [١٠]

ولم يكتفِ الإله انو بخلق تلك الآلهة وإنما عَيَّنَ لهم مصائرهم فكانت لهم صفات مرعبة، فكان الأول يتميز بالقسوة أينما ذهب، والثاني: فإنه حارق مثل لهيب النار، والثالث : مظهرة مثل الأسد ، والرابع : سلاحه تتلاشى له الجبال، والخامس: كان مدمراً كالإعصار، والسادس: يقتل من يشاء في السماء العليا والسفلى، والسابع : كان يحمل سم التين القاتل ، فضلاً عن وجود شيطان من العالم السفلي إلى جانبه وهو أيشوم الذي كان مقاتلاً مرعباً لدرجة أن أسلحته كانت تخيف الإله ايرا نفسه، كما أشار إلى ذلك النص :

"الذي حينما يلمع رماحه الحادة ، حتى ايرا، وهو اشد الآلهة بسالة،
يرتعد لها على كرسيه" [١١]

وكان الإله ايرا ساكناً مسالماً ، يمارس حياته الطبيعية كما تشير إلى ذلك الأسطورة، وإن جميع الآلهة التابعين له ، لم يكونوا يمارسون أساليب شريرة ولكن هذا الحال لم يكن يروق لتلك العفاريت الشريرة، التي بدأت بإثارة المشاكل في محاولة للتأثير على الإله ايرا ، ودعوته للتمرد على آلهة العالم العلوي عموماً ، ومنها آلهة المدن الذين أخذوا بإنشاء مدنهم على أجساد آلهة العالم السفلي عبر قتل أبطالهم، كما جاء ذلك على لسان تلك الآلهة بقولها :

" ... لقد ذللنا يا ايرا وسلب آلهة العالم العلوي أبطالنا
وخنقوا حياتنا وسدوا منافذ النور عنا ،لقد بتنا نأكل
الطعام الرديء ،وصرنا نخاف الوغى" (١٢)

وأخذ الآلهة يرددون شجاعة وبطولة ايرا من أجل أن يترك الراحة والدعة ؛ ويتحول إلى الحرب والقتال ، ويقولون له عندما ينتهج النهج الحربي؛ عندها يرتعش لذلك الآلهة في العالم الأعلى ، وستُهاب الشياطين في العالم الأسفل جبروته، وسيضطرب أبطال الأرض وما فيها من بحار وجبال لك ، وغيرها من الكلمات التي أخذت مأخذها في تفكير ايرا وجعلته يتمرد على الآلهة ، ويدمر المدن ومَن يسكنها، ولذلك طلب من وزيره ايشوم أن يفتح أبواب العالم السفلي ليعمل على إظهار قوته وجبروته ، ولكن الوزير يطلب من سيده أن يهدأ وأن لا يتهور في تمرده على الآلهة، خشية عقاب الآلهة له ، ولكنه يزجره ويطلب منه السكوت، كما أشار النص بقوله :

" ... فهل من وسيلة لردك إلى مكانك أهدا يا سيدي أهدا ، صمتاً
يا (ايشوم).. صمتاً يا (ايشوم) " (١٣)

وبعدما يقرر الإله ايرا اعلان الحرب وتدمر المدن ومَن عليها (١٤) ، بحسب النص الذي جاء على لسان الإله ايرا :

" سوف أمحو كل الديار وأحيلها ركاما
سوف أخرب الجبال وأبيد قطعانها الوحشية
سأقتلع الأشجار وغيضات القصب وأضرم فيها النار
سأمحق البشر ولن ابقي على الكائنات الحية" (١٥)

عندها اتجه إلى بابل لمقابلة الإله مردوخ لخداعه بالطلب منه بترك المدينة من اجل أن تسهل مهمته في تلك الحرب وينفذ ما أضمره في قلبه، وقد أبدى الإله مردوخ قلقه من ترك مدينته والتي تُعدَّ مركز الكون(١٦) خشية أن يفلت زمام العالم الذي يحكمه ، وتعود الفوضى من جديد ، ويسيطر آلهة العالم الأسفل على العالم الأعلى ويسلبون قوته ويدمرون الخليقة(١٧) ولكن ايرا تدارك ذلك وأخذ يطمئن الإله مردوخ الذي اقتنع بكلامه كما جاء في النّصّ :

" اطمئن يا مولاي سأكون مكانك[١٨] أرعى ما ترعاه
وأدبر ما تدبره حتى تعود من مكانك فستجد كل شي
في عهدتك .
اقتنع مردوخ بكلامه وقال له : حسناً يا ايرا خذ
مكاني طيلة غيابي وحافظ على الأمانة . رحل
(مردوخ) إلى مكانه الجديد واخذ (ايرا)
مكانه على عرش (مردوخ) " [١٩]

هكذا استأثر ايرا بالسلطة وخان أمانته ، واستطاع أن يحقق مآربه في دمار الأرض ونشر الموت في جميع الأرجاء لا في بابل وحدها ؛ وإنما شمل مدناً أخرى مثل: اكد، وسبار، وأنزل فيها الدمار والخراب ، وقتل سكانها بمختلف توجهاتهم الصالح منهم والطالح ، الملتزم وغير الملتزم ، وهذا ما عبَّر عنه الوزير ايشوم للإله ايرا بقوله :

" لقد قضيت حتى على العادل يا ايرا المقدام
لقد قضيت حتى على الباغي
قضيت حتى على من أهانك
قضيت حتى على من لم يهنك
قضيت على الكاهن الحريص على تقديم قرابين الآلهة "[٢٠]

وأخيراً وبعد جهد طويل، استطاع ايشوم أن يقنع الإله ايرا بالكف عما ارتكبه من دمار للمدن والسكان معاً ، واستطاع هذا الوزير إنقاذ ما تبقى منهما ، وهذا ما اطلعنا عليه النّصّ بالقول :

" ولأنَّ ايرا تملكه الغضب
وهدَّد بتدمير البلاد وإبادة السكان
وتمكن ايشوم مستشاره بذكاء فائق من تهدئة غضبه
فأنقذ بذلك ما تبقى"(٢١).

ونتيجة لما اقترفه ايرا من أفعال ، كان يدرك تماماً، أنه سيلاقي حساباً عسيراً من الإله مردوخ وبقية الآلهة الأخرى ؛ لإهانته الآلهة وتمَّرد عليها ، لذلك اتجه إلى الفرار من مقّره في العالم الأسفل مع وزيره ايشوم ، وترك الأرض وما بها من معاناة من قبل الآلهة كما بين النّصّ بقوله :

"حسنا يا ايشوم ايها الحكيم حسناً يكفينا ما فعلناه وهيا
نهرب الى العالم الاسفل ، هيا يا ايشوم .
هرب ايرا وايشوم الى عالمهما وتركا خراب الارض تركا
الالهة يندبون ويولولون" (٢٢)

وقد وجد الإله مردوخ بعودته أن ما تركه قد تحول إلى خراب ودمار حلَّ بالعالم الذي يحكمه ، وأدرك جيداً أنَّ الإله ايرا قد خدعه بكلامه، وخان عهده له بالحفاظ على العالم الأعلى، وأخذ بالبحث عنه للإنتقام منه إلا أنه لم يجده لكي يعاقبه ؛ لهروبه ، وبذلك انتهى هذا التمرد بدون قتل المتمرد ، وأن فعلة الإله ايرا تُمثل حرباً على كائنات العالم الأسفل ، وأخيراً أعاد الإله مردوخ إعمار المدن والبيوت المدمرة فضلاً عن جميع ممتلكاتها (٢٣).

أسطورة الطائر انزو Anzu" (٢٤):

تتحدث هذه الأسطورة عن الصراع والدفاع عن السلطة بين الطائر العملاق انزو من جهة والإله انليل مع بقية الآلهة من جهة الأخرى ، إذ تصوّر أحداث هذه الأسطورة الطائر انزو الذي كان يتمتع بصفات ومواصفات خارقة كما عبَّرت عنها الأسطورة ، بأنه من ماء الآلهة ورحم الأرض ومادة الحجر ، الأمر الذي أبهر الآلهة ومن بينهم الإله انليل مما دعاه للتساؤل عن المسؤول عن تلك الولادة الخارقة ، مما دعا الإله آيا إلى إجابة الإله انليل بقوله :

" يقيناً أن مياه الفيض ولدت انزو
وهي المياه المقدسة لإله العمق ابسو (APsu)
وان ((الأرض الواسعة)) حبلت به
وانه خلق من حجر الجبل" (٢٥)

مّما دفع الإله انكي (إله الحكمة) بالإشارة على الإله انليل ، أن يستغل تلك الصفات الخارقة لصالحه ويضمه إلى خدمته، ليكون منفذاً لأوامره ومبلغاً لتوصياته ، وبسرعة كبيرة ؛ كونه ذات مواصفات تؤهله وبكل جدارة لتنفيذ تلك الأوامر ؛ لأنه من الحيوانات ذات السرعة العالية ، وقد نال من جراء ذلك ثقة الإله انليل ، كما عبرت الأسطورة بقولها :

" ... ووضع التوصيات لجميع الآلهة ،
وأرسل انزو لإبلاغها ،
وحين قام انزو بمهمته ، حظي بثقة انليل ، " (٢٦)

و توضح الأسطورة المهام الواسعة التي كان الإله انليل يتمتع بها، منها رموز السلطة وثوب الآلهة وتاج السيادة وشارات الحكم ، فضلاً عما تقدّم امتلاك الإله انليل لألواح القدر أو(الواح المصائر)(٢٧) التي وهبتها له الآلهة، ليقوم بمهامه الكونية؛ منها دوره في عملية الخلق وتوزيع السلطات إلى الآلهة والمهمة الأخرى تتعلق بالبشر وما يجري على الاثنين (الآلهة والبشر) في السنة الواحدة بعد أن يقوم بختمها بختمه الخاص ، لهذا يرى جميع الممارسات التي يقوم بها الإله انليل أمام أنظار الطائر انزو الذي حظي بثقة سيده ؛ لذلك خامره الحسد ودفعه إلى خيانة سيده والتمرد عليه ، بسرقته للألواح من اجل سلب السلطة من الإله انليل والاستئثار بها لصالحه، ومن ثم التحكم بمصائر الكون ، بتقرير مصير الآلهة والبشر على حدٍ سواء، مستغلا قيام الإله انليل بالاغتسال في المياه المقدسة ، كما في النص :

" أمامه كان يسبح في المياه المقدسة
وكانت عينا (انزو) تستطيعان النظر إلى ممارسة سلطة انليل :
تاج السيادة وملاءة الإلوهية ،
لوح المصائر ، لقب الإلوهية ،
كان انزو دوماً يراها ،
وإذ كان يرى دوماً أبا الآلهة ، اله دور انكي ،

خامر الحسد قلبه لكي بسلب سلطة انليل هذه ،
((اجل)) أني أريد أن اختص بألواح الإلهية للمصائر،
واجمع بين أوامر جميع الآلهة ،
أريد أن أوطد عرشي وأدير المهام الإلهية ،
وأمر مجموعة ايكيكي كلهم" (٢٨)

ونتيجة للوضع الخطير الذي آلت إليه الأحداث ، كان لزاما على الآلهة أن تعقد اجتماعاً عاجلا لتناقش مجريات ما حدث ، وأن تسترد الواح القدر بأيّ ثمن كان، لأنَّ بخلاف ذلك، يعني تحكم الطائر انزو بمقاليد الكون أجمعه ؛ لذلك طرح الإله آنو الأمر على الآلهة:

"**فتح إذ ذاك آنو فمه ونطق**
وقال للآلهة أبنائه:
من منكم يريد أن يقتل انزو
فيجعل اسمه مجيدا في عالم البشر"(٢٩).

ولكن لم يكن هنالك إله يرغب بمواجه انزو ، لذلك اتجه الإله آنو إلى طريقة أخرى ، تتمثل باختيار الإله ادد ليقوم بالمهمة ، إلا أنه خاف من مواجهة هذا الطائر لما يملكه من قوة كبيرة ، فضلاً عن امتلاكه لألواح القدر التي تعمل، وبأدنى شك على زيادة قوته وفعاليته وإعطاه قوة سحرية هائلة ، إذ أصبح بمفرده يستطيع أن يفعل كل شيء ، وأن يأمر فتستجيب الأشياء لأوامره على الفور كما عبرت الأسطورة بقولها أن من" **يجابهه يصبح كالفخار**"، الأمر الذي ولَّد الرعب عند الآلهة الأخرى ، فغشي عليهم عندما سمعوا ما قاله الإله ادد. (٣٠)

ولم يتوقف الأمر على هذا فحسب ، بل جدد الإله آنو الدعوة إلى أبنائه الآخرين عسى أن يجد بينهم من يقبل بالمهمة ، ودار بينه وبين الإله كيررا حديثا هو إعادة للحديث الذي دار بين انو وادد من قبل ، وانتهى أيضاً برفض كيررا ومن بعده وجيرا بن أنونيت(٣١) ، ومن بعده الإله شارا (بكر عشتار) ، بمنازلة الطائر انزو ؛ لخوفهم منه ، فأوكل أمر اختيار بطل قادر على منازلة انزو واسترداد الواح القدر منه وتسليمها إلى إله الحكمة انكي ، بعد أن أخفق كبيرهم انو في تدبير ذلك ، فتذكر الأسطورة في هذا الشأن إن الآلهة استدعت أم الإله نينورتا سيدة الآلهة بيليت ايلي (*belit-ili*) ، إذ استقبلوها بمزيد من عبارات الإطراء

والتكريم وناشدوها أن تقف إلى جانبهم في شدّ أزر ابنها نينورتا من اجل أن يؤدي دوره المنتظر في منازلة انزو واسترداد الواح القدر، وبالفعل استطاعت الآلهة بيليت من أن تقنع ابنها نينورتا بمنازلة الطائر المتمرد ونجحت في تلك المهمة بأسنادها إليه ، وعلى أثر ذلك تم تكريم البطل نينورتا من قبل الآلهة وفي مقدمتهم اينليل ، تقديرا لبطولاته المتميزة بين كل الآلهة التي تراجعت أمام انزو ، فقد بعث انليل رسوله بيردو (*Birdu*) لينقل إلى نينورتا شكر الآلهة ، ويدعوه للحضور إلى نيبور مركز عبادة انليل في معبده الشهير أيكور ومعه الواح القدر ليعيدها ثانية إلى حجر انليل، وقد عمت البهجة جميع الآلهة[٣٢] بحسب ما أوردته الأسطورة .

أسطورة إنانا وجبل ايبخ (Ebih) [٣٣]:

تصوَّر هذه الأسطورة الآلهة إنانا آلهة الحب والحرب[٣٤] وهي عاقدة العزم على مواجهة جبل إيبخ ،الذي يُمثل الأقوام الساكنة في الأجزاء الشمالية الشرقية من بلاد سومر، عبر عنهم بـ (كورKur) [٣٥]، لعدم إعلانهم الطاعة للآلهة إنانا، فضلا عن عدم تمجيدها ومدح سجاياها ، وتماديهم بأفعالهم الشريرة ، وكذلك كثرة فتكهم بالناس، وما يحمله ذلك من مساوئ تجاه الأرَّباب، الأمر الذي عُدَّ تمرداً من ذلك الجبل على هيبة وطاعة الآلهة ، كما أشارت إلى ذلك الآلهة إنانا بقولها :

"أنا إنانا ، عندما اجتزت السماء والأرض
عندما قطعت بلاد عيلام و سوبير
عندما قفزت على جبال اللول أوبي
وتوجهت نحو هذا الجبل (الايبيخ)
وتوجهت نحو هذا البلد
عندما اقتربت من هذا البلد ، أنا أنين
لم يعر لي عن أيَّ احترام
عندما اقتربت أنا، إنانا من هذا البلد
لم يظهر لي أي احترام
عندما اقتربت من الايبيخ
لم يظهر لي أي احترام "[٣٦].

ونتيجة لتمادي هذا الجبل وتمرده على الآلهة، كما عبرت عن ذلك الآلهة إنانا وبصور مختلفة ، لذلك قررت أن تعلن الحرب عليه ؛ من أجل إخماد ذلك التمرد والتعالي على الآلهة ، إذ أشارت الآلهة إنانا إلى ذلك بقولها :

"لذلك ولأنَّه لم يظهر لي أيَّ احترام ،
وبما أنَّهِ لم يقبل قط الأرض تحت قدمي
ولم يكنْس بلحيته الترابَ تحت قدمّي
سوف أرفع يدي على هذا البلد المستفزّ
وسوف أعلّمه كيف يهابني
سوف أدوسه بقدمي ؟ "(٣٧)

ولم يكن هذا الرأي للآلهة إنانا فحسب ؛ بل أنَّ الإله (آن) يتفق معها أن (كور) (٣٨)، قد تمرد على الآلهة ، وتجاوز عليهم ، وادخل الخوف والرعب في قلوب الآلهة الانوناكي(٣٩)، فضلاً عن أنه ملأ الأرض خوفاً، وهذا ما نستشفه من نص الأسطورة:

"سلط الرعب على دار الآلهة الشامخ
وأدخل الخوف إلى مسكن (الانوناكي)
لقد ملأ الأرض فزعا "(٤٠).

على الرغم من غضب الآلهة (آن) على كور، إلا أنَّ ذلك لم يمنع هذا الإله من تحذير الآلهة إنانا من خطورة مواجهته وذكَّرها بما يملكه من قوة وثراء اقتصادي وعسكري، فضلا عن الموقع الاستراتيجي المهم ، وهذا الأمر من شانه أن يسبب لها المشاكل في مواجهته :

"هذا البلد نشر بريقه– الخارق للطبيعة
حتى فوق الجبل
تشمخ ارتفاعاته متحدية السماء
وتملأ الثمار بساتينه المزدهرة" (٤١)

وعلى الرغم من هذا التحذير، إلا أنَّ (إنانا) لم تتثنِ عزيمتها ، وجعلها تُغير قرارها [٤٢]؛ لذلك اعلنت أنَّها ستُعلن المعركة ، وقد أخذ منها الغضب كل مأخذ وتجمع كل ما لديها من سلاح وأعوان ، وتهاجم كور ؛ من اجل فرض سيطرتها عليه بقولها:

"سأطعنه بالرمح الطويل
الحربة ، السلاح ، سأقذف بهما عليه
وفي الغابات المجاورة ، سأضرم النار
وفي ... سأضع الفأس البرونزية
سوف أجفف جميع مياهه وسيصبح مثل (كيبيل) (اله النار)
سأنقل إليه الفزع فسيصبح مثل جبل ارتا" [٤٣]

وفي نهاية الأسطورة تقوم الآلهة إنانا بالقضاء على تمُّرد هذا الجبل (كور)، وتحّوله إلى جثته الهامدة وتترنم هي بأنشودة النصر والفخر [٤٤] .

أسطورة الإله انكي وكور :

تتحدث هذه الأسطورة عن صراع جرى بين الإله انكي وأحد مخلوقات العالم الأسفل المسمى (كور) ،إذ تصور تلك الأسطورة عملية تقسيم السلطة للكون بين الآلهة، إذ استأثر الإله (آن) بالسماء بينما كانت الأرض من حصة الإله انليل ، وإن عملية تقسيم السلطات تلك حدث أمراً رهيبا ، يتمثل باختطاف الإلهة ايرشكيكال إحدى إلهات العالم الأعلى ، وتم اقتيادها بعنف من قبل المخلوق المسمى كور وأخذها غنيمة لنفسه، الأمر الذي يُعدَّ سابقة خطيرة تمثلت بقيام مخلوقات العالم الأسفل بالسيطرة على آلهة العالم العلوي متبعةً أسلوب اختطاف الآلهة ومن ثم احتجازهم في عالمهم كما عبر النص بقوله :

"بعد أن اخذ (آن) السماء
بعد أن اخذ انليل الأرض
و بعد أن أُخذت ايريشكيكال إلى كور غنيمة له" [٤٥]

إزاء تلك الأحداث الخطيرة لم تقف الآلهة مكتوفة الأيدي ، إذ انتدبت الالهة الإله انكي لردّ تمرد تلك المخلوقات ومحاسبتها محاسبة عسيرة جراء انتهاكها حرمة الآلهة واعتدائها عليهم ، إذ أبحر الإله انكي بسفينته لمقاتلة كور، وتقابل الطرفان في معركة حربية في المياه حسب ما تشير الأسطورة ، إذ أبدى مقاومة

شديدة ، واخذ يقاتل قتالا وحشيا بجميع أنواع الأحجار، وهجم على سفينة انكي من مؤخرتها ومقدمتها ، وسلط عليها المياه الأولى التي يسيطر عليها، كما أشار النص :

" بعد أن أبحر ، بعد أن أبحر الأب ليقاتل كور
بعد أن أبحر انكي ليقاتل كور
لقد رمى كور الملك بالحجارة الصغيرة
رشق كور انكي بالحجارة الكبيرة
كانت أحجاره الصغيرة حجارة اليد
و أحجاره الكبيرة أحجار القصب الراقص
لقد قذف قاعدة سفينة انكي
و شن الحرب عليها كالزوبعة و أحدق بها
و سلط ضد الملك الماء على رأس سفينته
و كما يفترس الذئب
سلط الماء ضد انكي على مؤخرة سفينته
و كالأسد صار يضرب و يلطم" [٤٦].

وهكذا لا نعرف ما نتيجة المعركة وهل نجح الإله انكي فعلاً في قتل الوحش (كور) واستطاع إنقاذ الإلهة (إيرش- كيجال)، ومن الممكن أنَّ هبوطها قد تمّ بعد إنقاذها لظروف وإحداث مختلفة ومجهولة أو أنَّ بقاء كور وعدم خروجه من العالم الأسفل وبقائه محتجزاً في الابسو لهو دليل على انتصاره [٤٧] ، وهذا ما نرجحه ، أو ربما قد فشل على رأي احد الباحثين [٤٨] في إنقاذها مستنداً إلى ما جاء ذكره في الأساطير السومرية والبابلية اللاحقة من ورود اسم الآلهة ارشيكيكال كونها ملكة العالم الأسفل وعدم ورود اسم كور.

أسطورة الإله نينورتا والتنين[٤٩] آساج :

تُعدَّ هذه الأسطورة من بين الأساطير السومرية التي تُعنى بالقضاء على الدمار القادم من العالم الأسفل ، ويُعدَّ التنين آساج الساعد الأيمن لكور والذي تبنى مواجهة آلهة العالم الأعلى بقيادة نينورتا بدلاً من سيده كور[٥٠]. إذ تحكي هذه الأسطورة في الأيام الأولى قبل خلق البشر عندما كانت الآلهة مكلفة بأعمال الري والزراعة ، وكانوا يحملون السلة والمعول ، لينجزوا الأعمال المكلفون بها ، ولكن لأفعال آساج الشريرة

بتسببه بفيضان مياه البحر البدائي المالحة التي اجتاحت الأرض مانعة المياه الحلوة من الوصول لحقول الآلهة ، الأمر الذي تسبّب بمجاعة ، وولد اليأس عند الآلهة كما تضمنه النّصّ :

"هائلة كانت المجاعة ، ولم يعد أي شيء ينتج
وفي الأنهار الصغيرة، ما من احد (كان يغسل يديه)
ولم يُعدَّ يرتفع منسوب المياه
ولم يُعدَّ ممكناً أرواء الحقول ؛ وما من أحد كان يحفر ترع الري
ولم تُعدَّ تنبت أية زروع في جميع البلاد" (٥١)

وهذا الأمر لم يكن يروق للآلهة ، مما دفع شارور(٥٢) إلى حث سيده الإله نينورتا لمواجهة آساج وإيجاد حل لتلك الأزمة ، وفعلاً استطاع أن يوجد أشياء عظيمة هذا ما اشارت إليه تلك الأسطورة ، والمتمثلة بأنه كدس أحجاراً كبيرة وكثيرة ، وبمساعدة الأحجار الحليفة التي وقفت إلى جانبه وغلقت مقر التنين آساج ، وأقامت جدارا من الحجارة لحماية بلاد سومر ، الأمر الذي أدى إلى انحسار مياه البحر البدائي وحال دون وصولها إلى سطح الأرض ، مما سمح للمياه العذبة من ملأ الأنهار من جديد ، والتي عملت على إرواء الحقول في سهول سومر وهضابها ،الأمر الذي أفرح الآلهة كما عبر النص :

" وعلى الهضاب تراكم الحصاد وامتلأت العنابر
فأزال الإله الحزن من على وجه الأرض
وطفحت بالبهجة قلوب الآلهة "

واستطاع الإله نينورتا من القضاء على تمرد التنين آساج ومن وقف معه من الحجارة ، وقد ذكَّرته الآلهة نينماخ أم الإله نينورتا بمصيرهم ليقرر هو ذلك كما جاء بالنص :

تقدمت منه منتصبة ، وقالت له :

"أيها البطل الرائع ، يا ذا الأوامر التي لا تتقادم

وهكذا أوامر أبيك ،

إنَّك لم تحدّد بعد ، مصير

المرتزقة الذين أرديتهم !" (٥٣)

وقد كانت عقوبة الإله نينورتا لتلك الأحجار التي وقفت إلى جانب التمرد عسيراً (٥٤) ، أمَّا التنين آساج فقد حوله إلى حجر، وبذلك أنهى تمرد التنين آساج وحلفائه ، كما عبر النّصّ بقوله:

"وعندما قام (نينورتا) في المنطقة المتمردة ،

فغرق الاساكو كالا سل

واستأصله كالقصب

[...] الإله نينورتا ، هراوته قائلاً:

مثل ...

من الآن فصاعداً ،

لن تسمى آساكو بل تسمى ((حجراً)) " (٥٥)

الخاتمة :

مما تقدم من البحث يمكن أنّ نخلص إلى القول إن الصراع بين قوى العالم الأعلى، وقوى العالم الأسفل مستمرة ولن تتوقف ، وهذا الأمر ناتج من اختلاف طبيعة القوتين اللتين يسعى كل واحد منهما إلى السيطرة على الآخر ، فقوى العالم الأعلى التي بيدها مقاليد السلطة والحكم تسعى إلى تسيير الكون على وفق النظام الذي رسمته هي لذلك الكون؛ بينما قوى العالم الأسفل تسعى لخلق الفوضى والدمار للعالم العلوي ، الأمر الذي ولد صراعاً بينهما ، ونتيجة ذلك الصراع في النهاية لصالح قوى الخير والمتمثلة بآلهة العالم الأعلى ، على قوى الشر المتمردة التي أخذت أشكالاً مختلفة مثل الشياطين والعفاريت (مثل كور) ، وغيرها من القوى الشريرة المختلفة أو ظواهر طبيعية مثل جبل ايبخ والتي عبر عنها بـ(كور) هي الأخرى . وقد كانت تلك الشياطين تارةً هادئة ووديعة ، ولكن لوجود شياطين أقل منها شأناً تؤثر فيها لدرجة إنها تتبنى الشر في محاولاتها الاستئثار بالسلطة التي بيد آلهة العالم العلوي وتدمير المدن وقتل السكان ... الخ ، بينما تارة أخرى تتبنى الشر بصورة مباشرة ومن تلقاء نفسها مدفوعة بأسباب منها الغرور، والحسد ، والحقد للآلهة في العالم الأعلى ، ويكون مصيرها في نهاية كل أسطورة ، أمّا التعذيب والقتل من جهة ، أو الهروب من المواجهة من جهة أخرى.

الهوامش :

(١) وبذلك تُعدَّ مخلوقات العالم الأسفل هي من إيجاد بعض الآلهة أو من نفي إلى ذلك العالم أو من استقر فيه ليحكمه ولذلك فالتمرد يمثل الخروج على النظام وعدم الالتزام بطاعته وأوامره .

(٢) نائل حنون ، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة** ، ص ص ١٦٩ –١٧٠ .

(٣) لقد وردت في قصة الخليقة البابلية إن تيامة قامت بولادة تنانيناً قد ملأت أجسادها بالسم بدلا من الدم و زادت من قوة الزواحف ونصبت الأفاعي المختلفة فضلا عن إيجادها لإحدى عشر مخلوقا لمواجهة الآلهة الفتية، وكان مصيرهم في النهاية الاقتياد إلى العالم الأسفل من قبل الإله مدوخ ، للاطلاع أكثر ينظر، نائل حنون ، **حينما في العلى قصة الخليقة البابلية** ؛

Heidel , **The Babylonian Genesis** (Phoenix Books) Chicago– 1968.

(٤) B. Groneberg, **The Role and Function, in (The Babylonian World)** (USA: 2007) , P. 321.

(٥) تتألف من خمسة ألواح وتحتوي على ما يقارب سبعمائة وخمسون بيتاً مكتوبة باللغة البابلية وتعد من ضمن الأدب الأسطوري في الشعر وكانت تتسم بالبعد الزماني والمكاني فضلاً عن القيمة الأدبية الرفيعة التي تمتاز بقوة التعبير وجمال التصوير ، للاطلاع على نصوص هذه الأسطورة ، ينظر : رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، مختارات من النصوص البابلية** ، ص ١٢٢ وما بعدها ؛خليل سعيد ، **معالم من حضارة وادي الرافدين** ، ص ٢٠٨ وما بعدها ؛

Dalley , **Myth From Mesopotamia** (Oxford – 1988) p 282 ff .

(٦) فراس السواح، **مدخل إلى نصوص الشرق القديم** ، ص ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه .

(٨) خزعل الماجدي ، **أنجيل بابل** ، ص ٦٢.

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) خليل سعيد ، **معالم من حضارة وادي الرافدين** , ص ٢١٢ .

(١١) رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين**، ص ١٢٥.

(١٢) خزعل الماجدي ، **أنجيل بابل** ، ص ص ٦١– ٦٢ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(١٤) عرف عن الاله ايرا بحبه للحروب والدمار ويوصف بالسفاك المخيف ينظر : صموئيل نوح كريمر وآخرون، **أساطير سومر وأكاد، ضمن كتاب (أساطير العالم القديم)**، ص ١٠٥.

(١٥) فراس السواح. **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ص١٥٧.

(١٦) وهذه إشارة ذات دلالات سياسية من كون مدينة بابل هي المُتزعمة في بلاد الرافدين ، وتتعرض لخطراً يهددها، وهذا الأمر يؤكده أن هذه الاسطورة نُظمت على أثر الغزو العيلامي لمدينة بابل ، ينظر : طه باقر ، **مقدمة في أدب العراق القديم** ، ص ١٣٨ .

(١٧) خزعل الماجدي ، **أنجيل بابل** ، ص ٦٣ .

(١٨) أشار طه باقر إلى أن الإله ايرا أغرا الإله مردوخ بالنزول إلى الأرض السفلى العائدة للإله آيا حصولاً على بعض المواد الثمينة والملابس والأثاث ، ينظر : **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص ١٧٠.

(١٩) خزعل الماجدي ، **أنجيل بابل** ، ص ٦٤ .

(٢٠) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور (الموت والبعث والحياة الأبدية)**، ج٤، ص ٥٣٢.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٥٣٨؛ رينيه لابات. **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين**، ص ١٢٩.

(٢٢) خزعل الماجدي ، **أنجيل بابل** ، ص ص ٦٦ – ٦٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) "انزو Anzu"، ويقرا أسمه أيضاً بهيأة "زو Zu": هو طائر العاصفة، خليقة مجنحة برأس أسد، ولعله أحد الآلهة، وبوجه خاص من صغار آلهة العالم الأسفل، وهو شبيه بذلك المخلوق المرعب المنحدر من نسل (تيامة)، ينظر: لابات، **المعتقدات الدينية**، ص٨٣؛ طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص١٦١.

(٢٥) فاضل عبد الواحد علي ، **سومر أسطورة وملحمة** ، ص ١٢٧ .

(٢٦) رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية** ، ص ٨٥.

(٢٧) مصطلح "الواح القدر" أو "لوح القدر" أو "لوح السلطة الإلهية" في اللغة السومرية "DUB.NAMTARA"، وفي الأكدية " ṭub Šimati"، وكان من يحوز عليها من الآلهة يحصل على السلطة المطلقة على الكون والآلهة، ينظر: طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص١٦١؛ مهند عاشور شناوة ، **مجمع الآلهة في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية** ، ص١١٦. فراس السواح، **مدخل إلى نصوص الشرق الأدنى القديم**، ص ١٦٤.

(٢٨) رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين** ، ص ٨٥.

(٢٩) المصدر نفسه .

(٣٠)المصدر نفسه، ص ٨٦ .

(٣١) Annunit إلهة سماوية يرتبط اسمها باسم آنو إله السماء وهي تمثل هنا أم الإله جيرو " **نار السماء**"

(٣٢) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور "الآلهة والبشر"**، ج٢، دار الساقي ، ص٣١٥.

(٣٣) تتكون هذه الأسطورة من (١٨٤) سطراً بحاله جيدة، والنص عائد إلى ابنة سرجون الاكدي (٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق . م) ، (انخيدوانا) كاهنة معبد إله القمر السومري (نانا) في مدينة أور في عهد الملك نرام سين، للاطلاع على هذه الاسطورة اكثر ، ينظر : قاسم الشواف، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور "الحضارة والسلطة"**، ج٣، ص ٢٤٤ .

(٣٤) تميزت الآلهة عشتار / إنانا بكونها تحمل صفة مزدوجة متناقضة فهي تارة إلهة الحب وتارةً اخرى إلهة الحرب والقتال وتباينت الآراء عن هذه الازدواجية منها: إن عشتار هي نجمة الزهرة والتي تظهر في المساء احياناً وفي وقت السحر أحياناً أخرى فأكسبتها هذا التناقض ، بينما أشار رأي ثاني يتمثل بأن عشتار/ إنانا هي على اتصال بحياة الناس فهي تخلق من لهيب العاطفة والإتصال الجنسي بين البشر وبين كونها تفني نفسها في خضم المعركة، بينما الرأي الثالث يعزو التناقض في شخصية عشتار/ إنانا بأنه لا يستبعد أن يكون نتاجاً لالتقاء مفهومين الأول يمثل إنه الأقدم في بلاد الرافدين (السومريين) بجعل الآلهة للحب والجنس أما الثاني فيمثله المفهوم التي جاء بها الجزريون من مبادئ بكونها إلهة حرب، للاطلاع أكثر ينظر: فاضل عبد الواحد ، **عشتار ومأساة تموز** ، ص ٤٩ .

(٣٥) وقد عبر عن ذلك الجبل (ابيخ) بالقوام المعادية ورمز اليهم بـ (بكور) لقد ورد في أحد الأساطير السومرية أن قاتل (كور) هي الإلهة (إنانا)؛ إذ وصفت بـ (قاتله كور) ينظر ،كريمر، **الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ، ص ١٢٩ .

(٣٦) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) كور: من المخلوقات المتوحشة التي كانت تعيش في قعر (العظيم الأسفل)، وكور من المفردات التي من الصعب جداً تحديد مدلولاتها وترجمتها، وتعني بالدرجة الأولى (جبل)، وقد تطور معنى كلمة (الجبل) لتعني (البلاد الأجنبية)، وترد أحيانا بمعنى (ارض) بصورة عامة، وتشابه إلى حد معين كلمة (كي كال) السومرية التي تعني (العظيم الأسفل)، وهي بهذا المعنى تطابق معنى كلمة (العالم الأسفل)، هذا ويمكن أن تعطي معنى العماء أيضاً وبذلك تمردها يمثل تمرداً للمدلولات التي تم الإشارة إليها، ينظر: المصدر نفسه، ص١٢٢ .

(٣٩) الانوناكي (Anunnaki) : وهم اسم جنس أطلقه سكان العراق القديم على مجموعة آلهة السماء ،. ينظر : طه باقر ، **ملحمة كلكامش** ، ص ٢١٩ .

(٤٠) كريمر، **الأساطير السومرية** ... ، ص ١٣٠ .

(٤١) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**، **ج ٣** ، ص ٢٥٣ .

(٤٢) سامي سعيد الأحمد، **المدخل إلى تاريخ العالم القديم "العراق القديم حتى نهاية العصر الاكدي"**، ج١، ص ٣٨٦ .

(٤٣) كريمر، **الأساطير السومرية ...** ، ص ١٣٠ .

(٤٤) المصدر نفسه .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ؛ كريمر ، **من الواح سومر**، ص ٢٨٤– ٢٨٦.

(٤٦) كريمر ، **من ألواح سومر** ، ص ٢٨٤– ٢٨٦ ؛ كريمر ، **الأساطير السومرية** ، ص ٦٣ .

(٤٧) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**،، **ج٣**، ص ٢٢٨ .

(٤٨) فراس السواح، **لغز عشتار الآلهة المؤنثة واصل الدين** ، ص ١٢٣ .

(٤٩) التنين في الأصل ثعبان ضخم ويقصد به على وجه التحديد افعوانة البحر(sea serpent) الذي يعيش في البحر والمستنقعات، أما من حيث الرمز، فالتنين يمثل قوى الشر بكل ما في الكلمة من معنى، وقد استعمل الاثاريون وغيرهم من الكتاب كلمة التنين في كثير من الأحيان للدلالة على أي حيوان خرافي مركب، مجنح أو غير مجنح، وجاءت الكلمة السومرية (Muš huš) والأكدية (Mušhuššu) لتُعبر عن التنين حرفياً (الثعبان الهائج). وهو على أنواع عدة، فهناك التنين الأسدي، والتنين الثعباني، فضلاً عن التنين الذي عرف بـ "ثعبان الرحم الصغير"، ينظر: سجى مؤيد عبد اللطيف، **الحيوان في أدب العراق القديم** ، ص ص٢٥٨– ٢٥٩.

(٥٠) خزعل الماجدي، **متون سومر** ، **(عمان – ١٩٩٨)** ص ١٩٦ .

(٥١) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**، ، **ج٣**، ص ٢٢٩ .

(٥٢) "شارور Šar.Ùr": أي (محطم الآلاف)، وهو سلاح ننورتا السحري المتمثل (بالصولجان)، الذي حوله الخيال الأسطوري إلى شخص محارب بيد (ننورتا)، وحامياً له، ينظر: فاضل عبد الواحد، **سومر أسطورة وملحمة**، ص ١١٧؛ الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**، ج٣، ص٥٦.

(٥٣) قاسم الشواف، **ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة)**،، **ج٣**، ص ٨٣ .

(٥٤) للاطلاع على نوع تلك الأحجار التي وقفت الى جانب التنين آساج ونوع العقوبة التي فرضها عليها الإله نينورتا ينظر : المصدر نفسه ، ص ٨٢ وما بعدها.

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

المصـــــــادر :

- الأحمد، سامي سعيد ، **المدخل إلى تاريخ العالم القديم "العراق القديم حتى نهاية العصر الاكدي"**، ج١، (بغداد، ١٩٧٨) .

- باقر ، طه ، **مقدمة في أدب العراق القديم**، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٦).
- _____ ، **ملحمة كلكامش ، ط ٤ (بغداد – ١٩٨١)** .
- حنون ،نائل ، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة** ، ط٢(بغداد – ١٩٨٦).
- _____ ، **حينما في العلى قصة الخليقة البابلية** ، (دمشق – ٢٠٠٦) .
- سعيد ، خليل ، **معالم من حضارة وادي الرافدين** ، (الدار البيضاء – ١٩٨٤) .
- السواح ، فراس ، **مدخل إلى نصوص الشرق القديم** (دمشق– ٢٠٠٢) .
- _____، **لغز عشتار الآلهة المؤنثة واصل الدين** ، ط ٨ (دمشق – ٢٠٠٢) .

- الشواف ، قاسم، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور "الآلهة والبشر"**، ج٢، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٧).
- _____ ، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور "الحضارة والسلطة"**، ج٣، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٩).
- _____، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور "الموت والبعث والحياة الأبدية"**، ج٤، دار الساقي، (بيروت، ٢٠٠١).
- علي ،فاضل عبد الواحد ، **عشتار ومأساة تموز** ، (بغداد – ١٩٧٣) .
- _____ ، **سومر أسطورة وملحمة_** ، ط ٢ (بغداد – ٢٠٠٠) .
- القطبي ، مهند عاشور شناوة، **مجمع الآلهة في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب في (جامعة بغداد– ٢٠٠٠) .

- كريمر، صموئيل نوح ، **من الواح سومر**، ترجمة: طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٨).
- _____ ، **الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ، ترجمة: يوسف داود عبد القادر ، (بغداد ١٩٧١).

- _____ وآخرون، **أساطير سومر وأكاد، ضمن كتاب (أساطير العالم القديم)**، ترجمة: احمد عبد الحميد يوسف، (ب.م ، ١٩٧٤).
- لابات ، رينيه ، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، مختارات من النصوص البابلية** ، تعريب: الأب البير ابونا و وليد الجادر (بغداد – ١٩٨٨).
- اللطيف، سجى مؤيد عبد ، **الحيوان في أدب العراق القديم**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد– ١٩٩٧).
- الماجدي ،خزعل، **متون سومر ، (عمان – ١٩٩٨)** .
- _____ ، **أنجيل بابل** ، (عمان – ١٩٩٨).

B. Groneberg**, The Role and Function, in (The Babylonian World)** (USA: 2007 –
Dalley , **Myth From Mesopotamia** (Oxford – 1988) p 282 ff.
Heidel **, The Babylonian Genesis** (Phoenix Books) Chicago- 1934